FSM İlmî Araştırmalar *İnsan ve Toplum Bilimleri Dergisi*
FSM Scholarly Studies *Journal of Humanities and Social Sciences*
Sayı/Number 14 **Yıl/**Year **2019** **Güz/**Autumn
©2019 Fatih Sultan Mehmet Vakıf Üniversitesi
DOI: - http://dergipark.org.tr/fsmia - http://dergi.fsm.edu.tr

Araştırma Makalesi / Research Article - **Geliş Tarihi** / Received: 04.10.2018 **Kabul Tarihi** / Accepted: 02.09.2019 - **FSMIAD, 2019; (14): 539-562**

الكريستولوجيا (طبيعة السيد المسيح) في فلسفة جون هيك

أنمار أحمد محمد* (Anmar Ahmad Muhammed)

الملخص

تتحدث هذه المقالة عن حقيقة طبيعة السيد المسيح بين ألوهيته وبشريته أو ما تسمى حسب المصطلح المسيحي بـ (الكرستولوجيا) وتتناول حقيقة شخصية المسيح وأعماله ودعوته وكل ذلك من منظور فلسفة وأفكار إحدى أهم الشخصيات العلمية والأكاديمية والفلسفية واللاهوتية في الديانة المسيحية في عصرنا الحالي وهو البرفسور البريطاني جون هيك (1922-2012م)، إذ تقدم لمحات وتصورات عن طبيعة شخصية المسيح الحقيقية (كما يراها الفيلسوف هيك)، والتي بالتأكيد تخالف العقيدة والتقليد المسيحي الممتد لمئات السنين، تلك العقيدة التي أقرت في مجمعي نيقيّة وخلقيدونيّة المسكونيين، والتي تذهب إلى وجود طبيعتين داخل السيد المسيح هما الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية اجتمعتا وامتزجتا معا وكونتا الإله المتجسد.

الكلمات المفتاحية: جون هيك، السيد المسيح، الكرستولوجيا، التجسد، طبيعة السيد المسيح.

* أ. د. م. ، جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية كلية العلوم الإسلامية، إسطنبول/تركيا
Doç. Dr., Fatih Sultan Mehmet Vakıf Üniversitesi İslami İlimler Fakültesi, İstanbul/Türkiye, aammuhammed@fsm.edu.tr, orcid.org/0000-0001-8168-0674

John Hick Felsefesine Göre Hristoloji (Mesih'in Doğası)

Öz

Bu makale, mesihi terimine binaen isimlendirilen Kristolojiye, İsa Mesih'in ulûhiyeti ve beşeriyeti arasında kalan doğasına değinmektedir. Aynı zamanda İsa Mesih'in çağrısını, yaptıklarını, kişiliğini vb. konuları felsefenin ve günümüz Hristiyanlığındaki ilahiyat, felsefi, akademik ve ilmi alanda en önemli şahsiyetlerden biri olan John Hick'in görüşlerinin perspektifinden ele almaktadır. Öyle ki filozof Hick'in öngördüğü gibi İsa Mesih'in kişilik doğasına, Kalkedon ve Birinci İznik Konsili'nde kararlaştırılmış olan Hıristyanlığın akidesinin ve geleneğinin yüz yıllar boyu ters düşmesine, İsa Mesih'in bir araya gelen, birbirine karışan, bir bedende vücut bulmuş ilahı meydana getiren tanrısal ve beşeri iki doğasının olduğuna dair önbilgiler vermektedir.

***Anahtar Kelimeler*:** John Hick, İsa Mesih, Kristoloji, Tecessüd, İsa Mesih'in doğası.

Christology (The Nature of Jesus Christ) According to the Philosophy of John Hick

Abstract

This article discusses the true nature of Jesus Christ between his divinity and his humanity, or it so-called in the Christian term (Christology), It contains the reality of Christ's personality, his work and his call, all of that from the perspective of the philosophy and ideas of one of the most important scientific, academic, philosophical and theological figures in the contemporary Christian religion, The British professor John Hick (1922-2012), It provide us insights into the nature of Christ's true personality (as the philosopher Hick sees) which certainly contradicts the doctrine as well as the Christian tradition which extended for hundreds of years, that doctrine endorsed by the Ecumenical Councils of Nicaea and Chalcedon which believe in existence of two natures within Christ is the divine nature and the human nature that have met and merged together and become the incarnate God.

***Keywords*:** John Hick, Christ, Christology, Incarnation, Nature of Christ.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واقتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد ...

فعلى مدار التاريخ برز العديد من علماء اللاهوت المسيحي الذين رفضوا فكرة تجسد المسيح وألوهيته وبالتالي ذهبوا إلى القول ببشريته، ولعل أبرزهم في عصرنا الحالي الفيلسوف البريطاني جون هيك والذي يعد أحد أشهر فلاسفة الدين واللاهوت في هذا العصر وأكثرهم تأثيرا نظرا لتبنيه فكرة التعددية الدينية والعمل على تطويرها، والتي اثرت على أفكار العديد من الفلاسفة والمثقفين في العالم، كما واخذت مسألة طبيعة السيد المسيح وحقيقة شخصيته والقول ببشريته ورفض مسألة تجسده حيزا كبيرا من فلسفته وأفكاره ومؤلفاته، مع تبنيه للعديد من الآراء الفلسفية المهمة الأخرى والتي خالف فيها العقيدة والتقليد المسيحي الممتد لمئات السنين، لهذا جاء بحثنا هذا في محاولة لتسليط الضوء على هذا الفيلسوف المسيحي المهم، مع محاولة عرض ودراسة أهم أقواله وفلسفاته التي تناولت السيد المسيح تحديدا.

سبب اختيار الموضوع وأهميته: تنبع أهمية فلسفة وأفكار الفيلسوف جون هيك والمرتبطة بشخص السيد المسيح وذلك لكونه أحد أكبر فلاسفة الأديان واللاهوت المسيحي في هذا العصر، كما أن أغلب أفكاره حول السيد المسيح تقترب كثيرا من النظرة الإسلامية المتعلقة بطبيعة شخصية السيد المسيح وحقيقة مبعثه، تلك الأفكار التي خالف فيها الفيلسوف هيك العقيدة والتقليد المسيحي والممتد لمئات السنين.

الدراسات السابقة: لا توجد دراسات سابقة تحدثت عن أفكار وفلسفات جون هيك حول السيد المسيح قد كتبت باللغة العربية (على حسب ما أعلم)، وإن أغلب الدراسات التي كتبت حول الفيلسوف هيك كانت قد تناولت موضوع فكرته عن التعددية الدينية، ومنها كتاب الدكتور وجيه قانصو باسم: (التعددية الدينية في فلسفة الفيلسوف جون هيك المرتكزات المعرفية واللاهوتية)، وأيضا كتبت بعض الأبحاث العلمية والقليلة جدا إذا ما قورنت بأهمية هذه الفيلسوف المسيحي، فضلا عن بعض المقالات في الجرائد أو مواقع الأنترنت والتي في أغلبها تناولت موضوع التعددية الدينية وبعض المواضيع الجانبية.

أهم الصعوبات: أهم الصعوبات التي واجهتنا في ثنايا البحث تمثلت في تشعب الموضوع وتعدد القضايا التي طرحها الفيلسوف هيك في كتبه حول طبيعة شخصية السيد المسيح والأدلة الكثيرة التي ساقها حول بشريته والسبب الذي حدا بالمسيحيين إلى تأليهه، والتي بالطبع لا تكفي بأن يحتويها هذا البحث الصغير لذا اخترنا أهمهما مكتفين بعرضها، كما واجهتنا صعوبة الحصول على بعض المصادر الرئيسية للفيلسوف هيك، لذلك اضطررنا إلى الاعتماد على بعض المعلومات من خلال الشبكة العنكبوتية أو من خلال الموقع الرسمي للمؤلف.

خطة البحث: جاء البحث تحت عنوان: (الكريستولوجيا (طبيعة السيد المسيح) في فلسفة جون هيك)، ولكي تناسب خطة البحث العنوان تم تقسيم البحث إلى مقدمة اشتملت على بيان الموضوع وأهميته، وأهم الدراسات السابقة التي تناولته، ثم أهم الصعوبات التي واجهتنا في الدراسة، كما احتوى البحث على تمهيد كان الغرض منه التعريف بعلم الكرستولوجيا إلى جانب التعريف بالفيلسوف جون هيك.

ثم قسم البحث إلى أربعة مطالب رئيسية، جاء الأول تحت عنوان: السيد المسيح بحسب الأناجيل، والثاني: طبيعة السيد المسيح بين اللاهوت والناسوت، والثالث: ألوهية السيد المسيح وتجسده، والرابع: أسباب ونتائج تأليه المسيح، وتحت هذه المطالب الرئيسية جاءت العديد من النقاط التي توضح وتشرح محتوياتهم، ثم خاتمة فيها أهم نتائج البحث، وأخيرا قائمة بأهم المصادر والمراجع التي استخدمناها في بحثنا هذا.

التمهيد

الكرستولوجيا (Christology): هي إحدى مجالات دراسة اللاهوت في الديانة المسيحية، وتدخل ضمن نطاق دراسات الثيولوجيا المتعلقة بشخصية السيد المسيح وبجميع جوانبها، ويغلب على هذا المجال في العالم المسيحي دراسة مسألة ارتباط الطبيعة الإلهية والإنسانية معا في شخص السيد المسيح، أو ما يسمى وفق المنظور المسيحي بـ (تجسد المسيح).[1]

ومن المؤكد أن مسالة طبيعة السيد المسيح بين ألوهيته أو بشريته (التجسد) كانت ولازالت إحدى أكثر المسائل العقدية إثارة للجدل والمناقشة من قبل المسيحيين أنفسهم بين رافض لها ومؤيد ومنذ القرن الأول للميلاد وإلى اليوم، ولم يقتصر ذلك الجدل والنقاش على أهل الديانة أنفسهم بل تعدى ذلك الأمر الى أصحاب الأديان والعقائد الأخرى التي لها منظورها المختلف حول طبيعة السيد المسيح وحقيقة شخصيته فيما أصبح يعرف اليوم بعلم الأديان المقارن، وخصوصا إذا علمنا أن المفهوم المسيحي لعقيدة التجسد يذهب إلى أن كل إنسان لا يؤمن بحقيقة تجسد المسيح فإنه بالتالي سيكون محروما من الخلاص في اليوم الآخر، لذا كان من الطبيعي أن ينبري لهذا الموضوع العديد من علماء اللاهوت والأديان وعلى مر العصور بين مؤكد لهذه العقيدة ومدافعا عنها وبين رافض، وفي عصرنا الحالي -كما في العصور الماضية - برز لنا العديد من اؤلئك اللاهوتيين الذين تناولوا هذا الموضوع بالبحث والتمحيص والتحليل ولعل أبرزهم الفيلسوف البريطاني جون هيك (2012-1922م)، والذي يعد أحد ابرز فلاسفة الدين واللاهوت المسيحي في عصرنا الحالي.

ولد هيك في بريطانيا لأسرة متدينة، وفي مراحل الشباب عمل قسيسا في العديد من الكنائس المسيحية وتدرج في السلم الكهنوتي فيها، كما عمل أستاذا جامعيا في العديد من الجامعات والمعاهد البريطانية والأمريكية الكبرى، ألف ونشر عشرات الكتب والأبحاث المهمة في الفلسفة واللاهوت المسيحي، كما تسنّم العديد من المناصب الإدارية المهمة، حيث عمل نائبا لرئيس الجمعية البريطانية لفلسفة الدين، ونائبا للمؤتمر العالمي للأديان.[2]

ما يميز الفيلسوف هيك هو تبنيه للعديد من الاطروحات التي أثرت في الفكر اللاهوتي المسيحي بل وحتى العالمي، ولعل مسألة التعددية الدينية والتي تَبنّى فكرة نشرها والعمل على تطويرها هي أبرز ما كان يدعو إليه، حتى ارتبطت باسمه في عصرنا الحالي، وكان لها تأثير كبير على العديد من مراكز الأبحاث الدينية، بل وحتى في مفاهيم الأديان العالمية، ومع شديد الأسف تبنى فكرتها ومحاولة نشرها البعض ممن ينتمي إلى المسلمين على الرغم من معارضتها الصريحة لثوابت الدين الحنيف.[3]

---

1 Frank K. Flinn, *Encyclopaedia of World Religion, Encyclopaedia of Catholicism,* U.S.A, Facts .on File, 2007, pp. 158

2 .John Hick, *An Autobiography*, Oxford, One world, 2002

3 يعزى رفض مسألة التعدية الدينية في الإسلام الى أن فكرتها تقوم على: أن المعرفة في أي دين غير مطلقة وغير يقينية بل يشوبها الشك من وجه ما، وأن الأديان كلها على درجة واحدة من المصداقية والصواب، وأن الحقيقية هي نسبية في الأديان وأن كل دين يمتلك جزأ من الحقيقة وليست الحقيقة المطلقة. ولا يخفى خطر هذه المقولة على الدين؛ لأنه يلغي الحقائق والنصوص القطعية في الدين الإسلامي، بل يلغي الحقائق التي تتفق عليها العقول منذ بداية البشرية. عن الردود على مسألة التعددية ينظر: د. محروس محمد محروس بسيوني، "التعددية الدينية رؤية نقدية"، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، السنة السادسة، (العدد 12)، 1438ه، ص 440-445 ؛ أنس مالك طه، التعددية الدينية رؤية إسلامية، كوالالمبور، منشورات الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، (ط1)، 2005م، ص8 وما بعدها ؛ حيدر حب الله، التعددية الدينية نظرة في المذهب البلورالي، بيروت، الغدير للدراسات والنشر، (ط1) ، 1421ه-2001م، ص120 وما بعدها.

وتقوم فكرة التعددية الدينية التي تبنى هيك فكرتها باختصار على الإيمان بمركزية وجود الله في الكون، كما تعتقد أغلب أديان العالم بما فيها المسيحية، وبما أن الكنيسة المسيحية -كما يرى هيك- كانت ولا زالت تستخدم ومنذ القرن الأول للميلاد فكرة أن خلاص البشرية لا يتحقق إلا من خلال الديانة المسيحية، فإن هذا التصور يبقى غير صحيح وغير منطقي؛ لأنه يضع أتباع الأديان الأخرى وكل الناس عموماً في مفهوم عدم الخلاص في اليوم الآخر، لذلك يذهب هيك إلى ضرورة إقامة ثورة في فهم العقيدة المسيحية من جديد تقوم على فكرة: أن كل الأديان العالمية فيها نظرة صحيحة للخلاص في هذه الحياة الدنيا وفي اليوم الآخر.[4]

وإلى جانب فكرة التعددية الدينة للفيلسوف هيك هنالك العديد من الآراء التي خالف فيها التقليد والتراث المسيحي الممتد إلى أكثر من ألفي سنة حول السيد المسيح، حيث يؤكد على بشرية السيد المسيح ويرفض مسألة ألوهيته، وأن المسيح لم يقل في يوم من الأيام إنه الله أو ابن الله المتجسد، وأن المسيحيين اختاروا ذلك في مجمعي نيقيّة وخلقيدونية بسبب تأثير الأفكار الوثنية وانتشارها آنذاك، وغيرها كثير من الآراء التي سنحاول أن نتطرق إلى أغلبها في بحثنا هذا.

ومن الجدير بالذكر أن فلسفة وتصور الفيلسوف جون هيك حول المسيح تقترب في جوانبها الكثيرة من الشخصية والصورة التي رسمها الإسلام للسيد المسيح (υ) إلا في بعض الجوانب التي سنوضحها في مكانها والتي ربما تعود إلى التأثير الكنسي والرعوي الذي كان يمارسه الفيلسوف جون هيك وفق التراث المسيحي، ولو قدر للفيلسوف جون هيك دراسة الإسلام وتراثه دراسة معمقة وخالية من نظرة النقد الفلسفي والعقلاني المسبقة، وبعيدا عن مسلمات التراث المسيحي التي يحملها في داخله كفيلسوف ورجل دين مسيحي إكليرسي لكان من أكثر الناس ميلا للحقائق الإسلامية وما جاء فيها عن شخصية السيد المسيح.

المطلب الأول: السيد المسيح بحسب الأناجيل

أولا: الأناجيل الأربعة

للبرفسور جون هيك رأيه الخاص حول الإنجيل بنسخه الأربعة، والذي يخالف به ما تؤمن به الكنيسة المسيحية ويسير عليه التقليد المسيحي منذ مئات السنين، حيث يرى أن نسخ الأناجيل جميعها لم تكن شهادات حسية وعيانيه حول سيرة المسيح، وبالتالي لا يمكن الوثوق بتلك المصادر وجعلها المرجع الرئيسي في فهم طبيعة السيد المسيح وحقيقة دعوته، فإنجيل مرقس أول الأناجيل تأليفا وقد كُتب في فترة السبعينات من القرن الأول، ومتّى ولوقا كُتبا في الثمانينات، أما إنجيل يوحنا فكُتب في فترة التسعينات. وقد تميزت الأناجيل الثلاثة الأول باحتوائها على تعاليم ذات وقع شديد في نفوس سامعي المسيح، مع تضمنها أمثلة رمزي(Symbolic Parables) لا تنسى، أما إنجيل يوحنا فقد تميز بخطاب لاهوتي، يبدو فيه المسيح كمن له هالة نور مدورة فوق رأسه ويسير على الأرض ككائن إلهي، وهذا ما جعل اللاهوت المسيحي يستند إلى إنجيل يوحنا في بناء ما أصبح يعرف بـ (الكرستولوجيا).[5]

لذا يعترف هيك بصعوبة الحديث عن طبيعة وحقيقة حياة السيد المسيح كما وردت في الأناجيل الأربعة والتراث المسيحي بشكل عام حين يقول: " إذا بدأنا من حيث نحن الآن مسيحيو هذه الأيام، نبدأ في وسط ارتباك وعدم تأكد يقتحمنا عندما نحاول الحديث عن يسوع، الشخص التاريخي الذي عاش في الجليل في

4 See: John Hick, *Problems of Religion Pluralism,* United Kingdom, Macmillan Press Ltd, 1st edition, 1985. / John Hick and Paul F. Knitter, *The Myth of Christian Uniqueness: Toward a Pluralistic Theology of Religion*, Wipf and Stock Publishers, 1987.

5 John Hick, *The Centre of Christianity*, New York, Harper and Row Publications, 1970, pp. 15-25.

الثلث الأول من القرن الأول للتأريخ المسيحي "، ويعزو الفيلسوف هيك ذلك الارتباك إلى صعوبة الاعتماد على الأناجيل كمصدر وحيد وموثوق لمعرفة حياة السيد المسيح، لذلك نراه يقول: "فقد أظهرت الدراسة المنهجية للأناجيل مدى التفتُّت والإبهام في البيانات المتوفّرة لدينا، كلما حاولنا أن نتطلع إلى الوراء عبر تسعة عشر قرنا ونصف قرنٍ من الزمان، وبنفس الوقت يظهر اتساع وتنوع إسهام الخيال في صورنا عن يسوع ".[6]

ثانيا: ولادة السيد المسيح

يسهب هيك في الرد على تلك الأناجيل بالعديد من كتبه ومقالاته، ومنها: مسالة ولادة المسيح كما جاءت في الأناجيل، حيث يرى: أن مسالة ولادته العذرية، ثم القول بأن يسوع هو من سلالة داود الملكية، وبالتالي منحه لقب المسيح (المنتظر)؛ كل ذلك بعث لفكرة (البُنوّة الإلهية) حول المسيح؛ لذا جاءت أول جملة في إنجيل مرقس: "بَدْءُ إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللهِ "،[7] ونتيجة لنمو اللاهوت المسيحي عبر القرون حصل الانتقال الهام من مفهوم (ابن الله) إلى مفهوم أعم وأشمل هو (الإله الابن) الأقنوم الثاني من الثالوث، ونتيجة لذلك نستطيع أن نلمس هذا المفهوم بصورة أوضح وأبرز في الإنجيل الرابع (إنجيل يوحنا) والذي تبنته الكنيسة في القرن الرابع قبل نقده وتمحيصه، والذي ركز على مفهوم ذات المسيح (باعتباره ابنا لله) يتساوى في الواقع مع مقولة أنه (الله المتجسد)، بينما نرى أن الأناجيل الثلاثة الأخرى لم تكن تركز على شخصية المسيح وذاته، وإنما على مفهوم (مملكة الله).[8]

ويرى: أن قصص الولادة العذرية ليسوع في انجيلي (متّى) و(لوقا) قد فهم منها أنه (السيد) المرسوم داخل إسرائيل – جسديا - وأنه ابن الله، ويخلص إلى القول: "ومع ذلك فالمعنى المادي للبُنوّة الإلهية يتناقض مع قصة تعميد يسوع ".[9] حيث يشير هيك هنا الى أن المسيح لو كان حقا (ابن الله) فلماذا يوافق على تعميده في نهر الأردن من قبل بشر هو (يوحنا المعمدان)، يحيى (ט) .[10]

ثالثا: قيام المسيح من الموت

يعترف هيك بصعوبة قبول فرضية قيام المسيح من الموت وخاصة أن تلك الحادثة كانت قبل عشرين قرنا من الزمان، وخصوصا أن الأناجيل التي كتبت ودونت في تلك الحقبة لا تكاد تتفق فيما بينها على تلك الواقعة بل إنها تتناقض في تفصيلاتها كما يجد الباحث فيها العديد من الصعوبات في تفسير وتعليل احداثها؛ لذا نراه يقول: "لا يمكننا اليوم معرفة طبيعة أحداث تلك القيامة وماذا حصل فيها وبدقة، بل يبدو أنه من المستحيل معرفة ذلك، فأدلة العهد الجديد مشتتة ومتناقضة ولا تتيح لنا أكثر من تأملها وعدم استطاعة تفسيرها، وأن الشخص الوحيد الذي أكد قيامته "من خارج تلاميذه" هو بولس حين التقاه في طريق دمشق (أعمال الرسل 26: 18-12)، مع أنه وصف ذلك اللقاء بأنه رأى نورا لامعا وسمع صوتا فقط ولم يرَ جسدا حقيقيا ". [11]

---

6 جون هيك، أسطورة تجسد الإله، تعريب الدكتور نبيل صبحي، الكويت، دار القلم، (ط1)، 1405هـ - 1985م. ص 259.

7 انجيل مرقس: 1: 1.

8 ينظر: أسطورة تجسد الإله، ص 270.

9 المصدر نفسه، ص 270.

10 قصة تعميد المسيح على يد يوحنا المعمدان روتها الأناجيل الأربعة: يوحنا 1: 28-34/ لوقا 3: 21-22/ متّى 3: 13-17/ مرقس 1: 9-11.

11 John Hick, *Disputed Question in The Theology and The Philosophy of Religion*, Britain, the Macmillan Press LTD, 1st, 1993. pp. 41.

ومع أن هيك يرى أن تلك الحادثة" قيامة المسيح من الموت" والتي تمسك بها أصحابها وقالوا بها قد تبدو مؤكدة أحيانا،[12] ويعزو فرضيته هذه إلى بقاء مجموعة وطائفة صغيرة من المسيحيين منذ القرون الماضية متمسكين بها، وكان نتيجة ذلك الأمر أن نمت تلك الفكرة وكبرت عبر كل تلك السنين !! إلا إنه يرفض الإقرار بأن تلك الفرضية تمثل سببا وضماننا للقول بألوهيته. ويعزو ذلك إلى أن مسألة عودة الميت إلى الحياة - في تلك الحقبة - لم تكن تمثل هزّة عنيفة، أو أمراً خارقاً للعادة، أو أنها بعيدة التصديق كما ينظر إليها العقل المعاصر، أو حتى العلمانيون العقلانيون اليوم، كما أن حادثة القيام تلك لم تكن بالحادثة الجديدة أو المعجزة الفريدة التي لم تحصل لغير المسيح، حيث أن قصص العهد القديم تزخر بذلك، كما أن كتبة الأناجيل قد ذكروا العديد من حالات القيام من الموت التي جاءت على يد السيد المسيح، وذلك حين أقام اليعازر من الموت، وابن إحدى الأرامل، وأيضا ابنة جيروس، وتأكيد المسيح ذلك على لسانه حين قال لتلاميذ يوحنا المعمدان أن ينقلوا ما رأوا من معجزات، ليس إعادة البصر للمكفوفين والمشي للمقعدين فقط، بل وبعث الموتى أيضا.[13] ليس ذلك فقط بل إن كاتب إنجيل متّى ذكر في إنجيله أن بعد فترة وجيزة من صلب يسوع فُتحت القبور، وكان نتيجة ذلك أن كثيرا من أجساد القديسين الذين كانوا نائمين في تلك القبور قد قاموا، وبعد خروجهم من قبورهم ذهبوا إلى المدينة المقدسة وظهروا أمام الكثير من الناس.[14]

لأجل كل تلك الأدلة غير المؤكدة يرى هيك أن الادعاء بأن يسوع قد قام من الموت، وبالتالي فإنه يمتلك نوعية فريدة وخاصّة عن البشر الآخرين، وإن المسيح لديه طبيعة إلهية بالمعنى الحرفي، هو ادعاء غير صحيح ولا يمثل الحقيقة، بل إن هذا الأمر -كما يرى هيك- لا يعدو كونه: أن العناية الإلهية قد حفظت له مكانا خاصاً من بين جميع المخلوقات، وأن الله هو الذي بعثه من ذلك الموت مرة أخرى واختاره لدور خاص به وأعلن بقيامته من الموت أنه المسيح والسيد المنتظر. [15]

وفي مقاله الطويل (قيامة يسوع) يسوق البرفسور هيك العديد من الأمثلة والأدلة على تضارب روايات الأناجيل الأربعة فيما بينها واختلافها وعدم اتفاقها حول احداث تلك القيامة، مع تأكيده على أن تلك العقيدة لا يكاد يتفق عليها العديد من اللاهوتيين المسيحيين، كما إنه لا ستطيع أن يقبلها بصيغتها هذه، لذلك يقول: " ماذا يعني عيد الفصح بالنسبة لي – وماذا يمكن أن نسميه؟ حسنا، ما يعنيه بالنسبة لي لا علاقة له بكل هذه الألغاز التي لم تجد حلا إلى اليوم حول قيامة المسيح وما تحويه النصوص الإنجيلية من اختلافات وتناقضات! إذا كنت تسألني ما هي وجهة نظري حول كل تلك النصوص المختلفة والمتناقضة فيما بينها في كثير من الأحيان، فإنني سأقول: إنني أشعر ومتأكد من أنه كان يجب أن تكون هنالك العديد من التفسيرات والرؤى عن يسوع بعد وفاته. إلا أني لا اعتقد على الإطلاق كما أني لست متأكداً بأن جسداً مادياً كان موجودا هنالك ... أعلم بالطبع أن الكثيرين سوف يكونوا سعداء بأن يضعوا كل تلك التناقضات والاختلافات جانبا، ويؤكدوا

---

12 عقيدة قيام المسيح من الموت لا يعترف بها الإسلام، وذلك لتأكيد القرآن الكريم على أن المسيح لم يقتل ولم يصلب وبالتالي لم يمت على الصليب، بل إن الله تعالى توفاه ورفعه إليه لاحقا، (مع خلاف المسلمين هل إن الرفع كان للجسد والروح معا أم لروحه فقط)، والوفاة هنا لا تعني الموت حيث فرق القرآن الكريم بين لفظي الموت والوفاة في آياته، ومسالة اقرار بعض النصارى سابقا في زمن المسيح بقيامه من الموت لا يعد دليلا على صحتها، يرافق ذلك تناقض روايات الأناجيل الأربعة حول رواية احداثها وعدم اتفاقها على ذلك.

13 عن إقامة المسيح للموتى ينظر: إنجيل يوحنا11: 1-44 / إنجيل لوقا 7: 11-17 / إنجيل مرقس5: 35-43 وأيضا: إنجيل لوقا 8: 49-56 / إنجيل متّى11: 5.

14 إنجيل متّى 27 : 3-52.

15 جون هيك وآخرون، أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، ص 263-265.

ما يعتقدون ببساطة بأن يسوع قد قام بجسده من القبر، وليس لديّ أي خصومة ونزاع مع أولئك، رغم أنني لا أستطيع أن اشاركهم أمنيتهم تلك ".[16]

المطلب الثاني: طبيعة السيد المسيح بين اللاهوت والناسوت

أولا: مجمع خلقدونيّة *

تعد مسألة طبيعة السيد المسيح إحدى أهم المسائل اللاهوتية في الديانة المسيحية، حيث يعتقد المسيحيون باتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية في شخص السيد المسيح، ويعرف هذا الاتحاد بـ "الاتحاد الأقنومي". وترى المسيحية بأن هذا الاتحاد لم يغير أي من الطبيعتين داخل المسيح بأية حال، أو يقلل من تميزها عن بعضهما، ولا يعني ذلك عدم تأثرها بهذا الاتحاد. فطبيعته الإلهية، بطبيعة الحال أزلية، ثابتة بلا تغيير، وغير قابلة للإضافة ولذلك ظلت هكذا بلا تغيير. واستمر العنصر الإلهي -الذي لا يتغير- في الوجود بشخص الكلمة الأزلي، ولكن بعد نزوله إلى الأرض تضمن طبيعة بشرية أخرى كاملة متحدة مع شخصه. وبالتالي أيضا أصبحت تلك الطبيعة البشرية أداة لإرادته. وبهذا تغيرت العلاقة بين الطبيعة الإلهية والبشرية، مع بقاء هاتين الطبيعتين بلا تغيير.

لذلك يقول البابا شنودة: "السيد المسيح هو الإله الكلمة المتجسد، له لاهوت كامل، وناسوت كامل، ولاهوته متحد بناسوته، بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير، اتحادا كاملا أقنوميا جوهريا، تعجز اللغة أن تعبر عنه، وهذا الاتحاد دائم لا ينفصل مطلقا ولا يفترق. نقول عنه في القداس الإلهي (إن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين)، الطبيعة اللاهوتية (الله الكلمة) اتحدت بالطبيعة الناسوتية التي أخذها الكلمة (اللوجوس) من العذراء مريم بعمل الروح القدس، الروح القدس طهر وقدس مستودع العذراء طهارة كاملة حتى لا يرث المولود منها شيئا من الخطيئة الأصلية، وكون من دمها جسدا اتحد به ابن الله الوحيد. وقد تم هذا الاتحاد منذ اللحظة الأولى للحبل المقدس في رحم السيدة العذراء ".[17]

ومن المعلوم أن الطوائف المسيحية اليوم لا تتفق فيما بينها حول طبيعة السيد المسيح ومشيئته التي تستلزم إرادته، هل هما بشريتان لبشريته وولادته من أنثى؟ أم هما إلهيتان بسبب عنصره الإلهي؟ فحين حاول المسيحيون الإجابة عن تلك التساؤلات في مجمع خلقيدونية سنة (451م)، انقسموا إلى فريقين، كل فريق له آراؤه العقدية التي يؤمن بها ويدافع عنها ويراها صحيحة، ويضع لها المقدمات المنطقية والفلسفات العقلية لمحاولة تثبيتها ومنحها الشرعية عن طريق النتائج الفلسفية التي يصل إليها والتي تناسب ما يراه، وبالتالي يخطأ الآراء الأخرى التي تخالف ما يذهب إليه.

---

16 *"The Resurrection of Jesus* ,"www.johnhick.org.uk/articles.

* مجمع خلقيدونية: أحد المجامع المهمة في الديانة المسيحية، عقد بأمر الامبراطور مركيان سنة (451م)، في مدينة خلقيدونية (في تركيا الآن)، اقرت فيه عقيدة أن للمسيح طبيعتان ومشيئتان بعد الاتحاد والتجسد بالإله، وعلى عكس ما تؤمن به الكنيسة الأرثوذكسية والتي ترى أن للمسيح طبيعة ومشيئة واحدة، انقسمت بعده المسيحية إلى نصفين، عن مجمع خلقيدونية ينظر: الأب ف . سي صموئيل، مجمع خلقيدونية –إعادة فحص، بحث تاريخي و لاهوتي، ترجمة: د. عماد موريس إسكندر، القاهرة، دار باناريون للنشر والتوزيع، (ط1)، 2009م، ص97 وما بعدها.

17 البابا شنودة الثالث، طبيعة المسيح، القاهرة، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، (ط 16)، 2014م، ص 7.

* القس نسطور(386-451): ولد في مدينة مرعش في سوريا وتربى في انطاكيا، اشتهر بفصاحته وقوة عظاته، اختاره الامبراطور الروماني ثيودوسيوس الثاني ليكون بطريركا على القسطنطينية، له العديد من الآراء التي خالف فيها كنيسة الإسكندرية حول المسيح وطبيعته حيث جعل للمسيح إقنومين منفصلين ومتمايزين كما اعتبر العلاقة بين اللاهوت والناسوت مجرد اتصال، كما رفض تسمية مريم العذراء بوالدة الله بتاتا. ينظر: Rosemary Ellen, *The Encyclopaedia of Saints,* New York, Visionary Living Inc, 2001. pp. 398.

وبالتأكيد لو كانت طبيعة المسيح الإلهية والإنسانية حقيقة واقعة لما اختلفت عليها الكنائس المسيحة ولكانت قد أقرتها كما جاءت على لسان المسيح وتلاميذه من بعده، ولكن الحقيقة أن المسيح لم يعلّم أو يدعو هو أو تلاميذه إلى تلك العقيدة، وأنها من بنات ونتاج الأفكار والفلسفات الوثنية التي دخلت إلى العقائد المسيحية -بعد رفع السيد المسيح تحديدا- ثم تبنتها المجامع المسيحية لاحقا، لذا اختلف المسيحيون حولها -وما زالوا- ومنذ مئات السنين.

وعن ذلك الخلاف بين الكنائس المسيحية وقبول مجمع خلقيدونية لتلك العقيدة يقول البابا شنودة: "على الرَّغم من أنَّ مجمع أفسس (431م) المسكوني المُقدَّس قد حرم نسطور* ألا أنَّ جُذُور النَّسطُورية قد امتدَّت إلى مجمع خلقيدونية الذي ظهر فيه انفصال الطَّبيعتين، حيث قيل فيه أنَّ المسيح اثنان إله وإنسان. كما أعلن أنَّ هُناك طبيعتين في المسيح بعد الاتِّحاد: طبيعة لاهوتية تعمل ما يختصّ بها، وطبيعة ناسوتية تعمل ما يختص به، وكما قرَّر المجمع أنَّ المسيح له طبيعتان، قرَّر أنَّ له مشيئتين وفعلين ومن هُنا نشأت مُشكلة الطَّبيعتين والمشيئتين، وبدأ صراع لاهوتي، وانشقاق ضخم في الكنيسة".[18]

وكان من نتيجة ذلك الخلاف العقدي أن انفصلت الكنائس المسيحية وانقسمت إلى قسمين:

١- الكنائس الخلقيدونية: وتضم كنيسة روما (الكاثوليك)، وكنيسة القسطنطينية (بعض الكنائس الأرثوذكسية)، وتعتقد بأن المسيح ذو طبيعتين ومشيئتين، هما اللاهوت والناسوت، وقد اتحدتا في شخص واحد، ونتج عنهما "طبيعتان" و "مشيئتان" ولكن من دون امتزاج أو اختلاط، أو استحالة.

٢- الكنائس الغير خلقيدونية: وتضم الكنيسة القبطية (المصرية)، ومعها الحبشية، وكنيسة أنطاكية، وكنيسة أورشليم، وكنائس آسيا الصغرى -عدا القسطنطينية - والكنيسة الحبشية، والأريتيرية، والسريانية، والهندية، والأرمنية، والتي ظلت متمسكة بقرارات المجامع الأولى وتعتقد بطبيعة واحدة للمسيح، أي اتحاد اللاهوت بالناسوت بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.[19]

ثانيا: موقف البرفسور هيك من مجمعي نيقية* وخلقدونية

وحول مفهوم تلك العقيدة التي أقرت في مجمعي نيقيّة وخلقيدونية يقول هيك: "علينا أن نوجه هذه الأسئلة الخاصة بدراسة طبيعة المسيح والتي اقرت في مجمعي "نيقيّه" و "خلقيدونيّة" والتي أصبحت فيما بعد عقيدة المسيحية الأرثوذكسية. كان جزءٌ منها تجريبيا والجزء الأخير (ميتافيزيقيا). تجريبياً في تأكيدها على أن يسوع هو كائن بشري، وميتافيزيقيا على أنه كان الإله. فإذا فرقنا بين نص بيان حرفي من ناحية، -سواء كان هذا البيان تجريبيا أو ميتافيزيقيا- وبين بيانات أخرى مجازية شعرية رمزيّة وأسطورية، فإن تركيبة بيانات (نيقيّة) كان المقصود بها بلا شك أن تفهم بمعناها الحرفي وليس المجازي. إنها تؤكد أن يسوعا كان بالحرف -لا تشبيها ولا استعارة-إلهيا، وبالحرف أيضا -لا تشبيها ولا استعارة- بشريا. فبصفته إلهيا لم يكن مشابها لله أو بلغة الشعر-إلها أو كأنه الإله، كان فعليا وحرفيا (الله المتجسد) وأيضا ككائن بشري كان حقا وواقعا وحرفيا إنسانا ".[20]

---

18 البابا شنودة الثالث، طبيعة المسيح، ص 11-12.

19 ينظر: الأب ف. سي صمؤيل، مجمع خلقيدونية إعادة فحص، ص 97 وما بعدها.

* مجمع نيقية: أحد أهم المجامع المسيحية في التاريخ، عقد في مدينة نيقيّة (ازنيك) في تركيا بأمر من الامبراطور الروماني قسطنطين سنة (325م)، حيث أقرت فيه ألوهية الآب، والابن. ينظر: أسد رستم، كنيسة الله العظمى أنطاكيا، (ج1)، لبنان، منشورات المكتبة البولسية، 1988م، ص199 وما بعدها./ ناصر المنشاوي، الجوانب الخفية من حياة المسيح، بدون دار طبع، 2003م، ص153 وما بعدها.

20 أسطورة تجسد الإله، ص 272.

ويتساءل البرفسور هيك عن معنى القول إن هذا الانسان (يسوع) هو الاقنوم الثاني في الثالوث المقدس؟ ويوضح أن العديد من التفسيرات التي ظهرت وعلى مر التاريخ محاولة ان تعطي معنى مناسبا لقول مجمع نيقيّة إلا أن تلك الأقوال والتفسيرات غير مقبولة – كما يرى - بل ويسميها: " أنواعا من الهرطقة ". ويبدأ البرفسور هيك يوضح بعضا من هذه الأقوال والتي منها:

١- ما ذهب إليه أصحاب فكرة التبني والتي فسروها على ان المسيح كان إنسانا تبناه الله لسبب إمكانياته الروحية الخاصة، ليصبح (ابن الله)، ويرد على تلك الفكرة بالقول: "فهذه الفكرة رغم أنها توافق الفكرة اليهودية الأصلية، من أن الملك هو "ابن الله بالتبني"، إلا أنها لا تسمح ليسوع بأن يكون من نفس نسيج الآب، ومثلها القول: بأن يسوعاً كان إنسانا يسكنه بصورة فريدة (الروح القدس) الأقنوم الثالث من اللاهوت".

٢- كما يورد تفسيراً ثانياً يقول: إنّ يسوعاً كان إنساناً مسؤولاً كلياً أمام إرادة الله، ويرد عليه بالقول: "فهذا القول لا يعترف بوصفه الإلهي على أساس أنه (الكلمة الإلهية - Logos) موجود منذ الازل، والأقنوم الثاني من الثالوث".

٣-اقتراح أبوليناريس الذي يقول: إن يسوعاً (الكلمة - Logos) الخالدة حل محل النفس المنطقية بينما (النفس الحيوانية) والجسم كنا بشريين، ويرد على ذلك بالقول: "هذا الاقتراح يؤكد ألوهية يسوع على حساب بشريته لأن هذه النظرة تعني أن ذاته الأساسية لم تكن بشرية بل إلهية".[21]

ويرى البرفسور هيك أن جميع هذه النظريات وغيرها كانت محاولات حسنة النية لإعطاء معنى لصيغة (الإله – الإنسان) لكن الكنيسة المسيحية الأرثوذكسية أصرت على إثبات (الطبيعتين) الإلهية والبشرية المتلازمتين في شخصية يسوع المسيح التاريخية، ويؤكد على أن الارثوذكسية مع كل ذلك لم تستطع قط أن تعطي هذه الفكرة أي مضمون بل بقيت تلك العقيدة وتفسيراتها الكنسية عبارة عن كلمات دون تخصيص معنى لها.

ويخلص البرفسور هيك إلى خطأ تلك العقيدة حين يقول: " ومن المهم أن نعلم أن تعريف مجمع الخلقيدونية للمسيح كان خطأ عندما أقر فيه بأن للمسيح طبيعتين إحداهما إلهية والأخرى بشرية، وكما هو معلوم في الواقع فأنه لم يرد عن سيدنا يسوع المسيح نفسه أنه قد أثار تلك القضايا في حياته والتي كانت ولا زالت تعد من المسلمات والمألوفات لعلماء اللاهوت والكتاب المقدس".[22]

أما عن أسباب رفضه لهذه العقيدة ورفض قرار مجمعي نيقيّة وخلقيدونيّة فيقول: "أنا واحد من بين العديد من اللاهوتيين المسيحيين الذي يريدون مغادرة عقيدة نيقيّة وخلقيدونيّة، والتي لا تساعدنا اليوم تلك الوثائق على تأكيدها، والسبب في ذلك يعود إلى ثلاثة مشاكل رئيسية في التقليد المسيحي وهي:

١- إن هذه العقيدة هي ليست من أقوال وتعاليم المسيح بل هي من وضع الكنيسة، وذلك لأنها لم ترد بصراحة في الأناجيل المسيحية التي يفترض أن تعبر عن واقع المسيح وطبيعته، كما يفترض أن تعبر عن نشأته وحياته وأعماله.

٢- إن هذه العقيدة اكدت على أن يسوع كان إلها كاملا وإنسانا كاملا، بدون محاولة القول كيف يمكن أن يحدث ذلك! وهنا تبرز لنا مشكلة واضحة وهي: كيف يمكن لشخص تاريخي يستطيع أن يملك في نفس الوقت كلا المسألتين: سمات الإله الأساسية استنادا إلى كونه إلها، وفي الوقت ذاته يمتلك كل سمات الإنسان الأساسية استنادا إلى كونه إنسانا ؟ كيف يمكن للمسيح أن يكون في نفس الوقت: القاهر الإلهي والإنسان

21 أسطورة تجسد الإله، ص 273.

22 John Hick: *An Autobiography*, pp. 227-228.

الضعيف القابل للفناء؟ كلّي العلم الإلهي والإنسان الجاهل؟ الأبدي الغير محدود والموجود بذاته؟ خالق الكون الموجود بذاته والزماني المحدود والمخلوق التابع ؟ ولذا وبعد كل تلك التساؤلات ينقد هيك تلك الفكرة بالقول: "هل إن الإله الأبن قد أفرغ نفسه من سماته اللاهوتية حتى يصبح إنسانا ؟ وهل يكون الإله بدون صفاته الإلهية إلها ؟ وإذا كان يسوع يملك تلك الصفات البشرية الي لا تتجانس مع الصفة الإلهية هل يمكن أن يقال أنه كان أحدا ما إنسانا خالصا أو إلها خالصا ؟ وهنا ايضاً تبرز لدينا العديد من الصعوبات العميقة في فهم كل ذلك، والمسيحية الأرثوذكسية لم تستطع في الأخير إلا القول بأن فكرة الإله البشري هي لغز إلهي لا يمكن لنا أن نفهمه لكن ينبغي مع ذلك أن نحترمه ".[23]

٣- استخدام مسالة ألوهية المسيح لتبرير مسألة الشر التاريخية، حيث يمكن لهذه المسالة أن تقبل إذا لم يكن فهم العقيدة حرفيا يمكن أن يؤدي إلى تأثير مضر جدا لعلاقاتنا مع المؤمنين بالأديان الأخرى التي تمتلك أيضا اثباتات وبراهين ملائمة ومتكيفة جدا لتبرير مسألة وجود المظالم البشرية الرهيبة والقاسية ".[24]

ثالثا: المسيح التأريخي ومسيح الإيمان

يميز هيك مع غيره من اللاهوتيين المعاصرين بين المسيح التاريخي الذي هو يسوع الناصري وبين المسيح الكوني الذي هو أساس المعتقد والإيمان المسيحي. وفي ذلك السياق نراه يقول: "حيث أن معلوماتنا على الأول (المسيح التأريخي) هي جملة الوثائق والتجارب التي دونها بعض الكتّاب عنه، في حين يمثل الثاني (المسيح الكوني) الصورة المثالية والمطلقة لطبيعة السيد المسيح، والتي أخذت بعد مقررات مجمعي نيقية وخلقيدونية شكلها المطلق والنهائي. وعلى الرغم من قلة المعلومات المؤكدة والأدلة القوية التي تدعم مقررات كلا المجمعين، إلا أن التصور المثالي والمطلق عن المسيح لم يتأثر برغم الخلل والنقص في الدليل التاريخي الذي يدعمه. بل ظل المسيح وفق التصور الرسمي طريق الحياة والخلاص الوحيد لكل الجنس البشري، وأصبح هذا التصور فيما بعد وخاصة في عصرنا الحالي، يتصادم بمنحاه المطلق والشمولي مع واقع التعددية الدينية ومع رؤية التعددية التي ترى أن الخلاص متحقق بنحو متساو داخل التيارات والتقاليد الدينية الكبرى في العالم ".[25]

من المؤكد أن ما ذهب اليه هيك يخالف ما تؤكده العقيدة الأرثوذكسية (Orthodox) الأصولية في الديانة المسيحية، التي ترى: أنه لا يوجد انتقال بين يسوع التاريخي ويسوع الإله فكلاهما واحد، وأن المسيح قد عبر عن نفسه في إنجيل يوحنا واوضح عن طبيعته وحقيقته الإلهية، لكل ذلك تذهب الكنيسة الرسمية إلى القول بأن السيد المسيح هو (الله المتجسد) وأنه طريق الخلاص الوحيد للبشرية، وأن تلك المقولات هي مقولات نطق المسيح بمعناها أو بمنطوقها في الإنجيل الرابع، وأكدتها أقوال تلميذه بطرس وثبتها التقليد المسيحي الأول[26]، وهذا ما جعلها العقيدة القويمة إلى يومنا هذا (كما يدعون).

ويرى البرفسور هيك: "أن القول بأن يسوعاً الناصري التاريخي هو أيضا (الله) هذا القول خالٍ من أي معنى، كما لو قلنا إن هذه (الدائرة) المرسومة بالقلم على الورق هي أيضا (مربع). مثل هذا النطق يحتاج إلى مضمون لغوي. وبالنسبة للغة المتداولة في موضوع التجسد، كل ما اقترح من مضامين حتى الآن كان مرفوضا. وأن الصيغة (الخلقيدونية) التي توقفت عندها المحاولات، اعادت ببساطة فكرة أن يسوعاً هو

---

23 John Hick, *A Christian Theology of Religion*s, The Rainbow of Faith, Westminster John Knox Press, 1st, 1995, pp. 96.

24 المصدر نفسه، ص 95-98.

25 د. وجيه قانصو، التعددية الدينية في فلسفة جون هيك المرتكزات المعرفية واللاهوتية، الدار العربية للعلوم - ناشرون، (ط1)، 1428هـ -2007م، ص 158.

26 .ينظر: إنجيل يوحنا 8: 25 / 10: 30/ 14: 16/ 14: 9/ 14: 11/ اعمال الرسل: 12: 4

في نفس الوقت أنسان وإله، إلا أنها لم تحاول تفسير هذه الصيغة؛ لذا يبدو من المنطقي الاستنتاج أن القيمة الحقيقية لعقيدة التجسد ليست تبيينيّة بل تعبيريّة، وهي ليست لتأكيد حقيقة ميتافيزيقية بل للتعبير عن تقييم وتقدير ولاستعادة موقف. وعقيدة التجسّد ليست نظرية يجب أن تكون قادرة على التحديد ولكنّها-بتعبير استعمل كثيرا عبر التأريخ المسيحي-سرٌّ غامضٌ. وأنا أرى أن أحسن تعبير عن طبيعتها هو في القول: إن فكرة التجسّد الإلهي هي فكرةٌ اسطورية (ميثولوجيه)".[27]

المطلب الثالث: ألوهية السيد المسيح وتجسده

أولا: ألوهية المسيح

لم تكن مواجهة هيك لعقيدة تأليه المسيح تعني تأسيس وعي جديد من خارج التقليد المسيحي، بل كانت مواجهة للتقليد من داخل التقليد نفسه، مما يعني أن البحث حول المسيح ينطلق بين هيك وخصومه من الوثائق الأساسية المدونة عن المسيح، والتي يسميها هيك وبعض المعاصرين بوثائق (الحدث المسيحي)، وينطلق أيضا من الوثائق حول الحياة المسيحية الأولى بعد المسيح، سواء أكانت جيل تلاميذه أو جيل الذين تتلمذوا على أيديهم. ورغم قلة الوثائق المسلّم بها عن حياة المسيح وغياب الكثير من التفاصيل عن حياته، إلا أن التوافق على الوثائق المتوفرة عن المسيح ينقل البحث من الجدل حول ثبوت الوثائق والأقوال الواردة عنه إلى الجدل في فهم تلك الوثائق والأقوال، من وجود النص الديني وواقعيته إلى حقيقته ومعناه ودلالته.[28]

لذلك ووفق هذا المنهج يتساءل البرفسور هيك عن كيفية رفع كائن بشري إلى مرتبة الألوهية، مستغربا عن الكيفية التي وصل بها اليهود (المسيحيون اليهود)، مع الأمميين من المسيحيين (المسيحيون غير اليهود) إلى عبادة كائن بشري!! محطمين بفكرتهم هذه حقيقة وجود إله واحد، تلك العقيدة التي أدت بهم إلى الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) المعقدة للتثليث – كما يسميها - تلك العقيدة التي تبنتها المسيحية وعدتها العقيدة الجازمة (الدوجما) في إيمانها الكنسي منذ مجمع نيقية وإلى اليوم، مخالفة بذلك النصوص الصريحة التي نقلتها الأناجيل وعلى لسان السيد المسيح، والتي توضح أن يسوع أعلن أنه إنسانا أرسله الله إلى الناس مؤيدا بالعديد من الأعمال الكبيرة الخارقة والعجائب،[29]

كما يرى أن سبب تعظيم المسيح في تلك الفترات السابقة وجعله هو الإله المتجسد، كانت بسبب الاستجابة للنقص في الأشياء المعنوية والحاجات الروحية التي كانت ربما مفقودة في تلك الآونة، وأن المجتمعين في نيقيّة قد مالوا إلى اختيار هذه الألفاظ والصفات على المسيح نتيجة لتلك النظرة التي كانوا يروا بها السيد المسيح (الإله الابن المتجسد) في وقتها وسيادته الروحية والزمانية والمكانية التامة.[30]

ويؤكد هيك على أن المسيح أعلن عن نفسه بأنه إنسان فقط (كما أوردت الأناجيل) ولم يقل عن نفسه يوما بأنه إله، وإن مراحل تأليهه تلك دخلت إلى المسيحية لاحقا، ويشير إلى فقرة واحدة من بين العديد من تلك الفقرات التي جاءت على لسان القديس بطرس وغيره من التلاميذ والتي تشير صراحة إلى بشرية المسيح بالقول: " أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هذِهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ "[31]

---

27 المصدر نفسه، ص274.

28 ينظر: د. وجيه قانصو، التعددية الدينية في فلسفة جون هيك، ص 154.

29 يشير البرفسور هيك هنا إلى خطبة الرسول بطرس (رئيس الحواريين) كما جاءت في سفر أعمال الرسل 2: 22.

30 عن تجسد المسيح وتحول المسيحية إلى عبادته ينظر: John Hick, *The Metaphor Of God Incarnate: Christology In A Pluralistic Age*, 2nd Edition, United States, Westminster John Knox Press, 2006.

31 أعمال الرسل 2: 22.

ثانيا: تجسد المسيح

يعد التجسد من العقائد المهمة في الديانة المسيحية؛ لذا سعى هيك إلى وصف مصطلح (الكرستولوجيا) كمصطلح يعبر عن العلاقة بين الله والمسيح بدلا عن جوهر وفكرة الكرستولوجيا. وجاءت محاولته الأولى للقيام بذلك من أجل التأسيس لإيمان يقر بوجود الإله والكون. حيث يصف هيك النظرة التقليدية التي ترى أن يسوع هو الله المتجسد باعتباره مفهوما ثابتا في المسيحية، (تحديد شخص معين مع كيان إلهي معين)، وفي ذلك يقول المؤلف كريس سينكسون: "سعى هيك للوصول على وصف "ديناميكي" لذلك التجسد، الذي لا يعد بالنسبة له تجسدا حقيقيا حول يسوع والله، بل وصفاً لنشاط ما لكليهما كانا يمارسانه، يسوع يجسد حب الله في حياته ونشاطاته، فعله هذا وإرادته كان متطابقا تمامًا مع إرادة الله وصنيعه، والتي تؤكد إمكانية إرادة المسيح، وإرادة الله، لذا شعر تلاميذه (الحواريون) بحضور الله ووجوده دائما متى وجد وحضر المسيح".[32]

وعلى العكس من ذلك كانت المسيحية - ولازالت - تذهب إلى أن المسيح هو الإله المتجسد وبالتالي فإن المسيحية وحدها بين أديان العالم قد تأسست من قبل الله شخصيا، وبحسب ذلك فإنها تكون الديانة الوحيدة المتفوقة وبشكل فريد على جميع الأديان الأخرى، السماوية منها والوضعية.

لذا كانت مشكلة هيك الأساسية مع عقيدة التجسد تكمن في رفضه للتقليد المسيحي الذي يرى أن المسيح (جوهر) مساوٍ وواحدٍ مع الله !! هذا المفهوم "الجوهر" - كما يرى هيك - كان يرتبط بالتحديد بعالم الفكر اليوناني القديم ولا معنى له اليوم من وجهة نظر كل من العلماء العقلانيين وحتى الكتاب المقدس. ومع ذلك كان يبحث عن إجابة من اللاهوتيين المسيحيين للسؤال الآتي: كيف يمكن أن يكون ذلك الإنسان (المسيح) التاريخي، المرئي، وغير الكامل، والمحدود، والقابل للخطأ، يمكن أن يكون أيضا: غير المرئي (المتعالي)، والمتسامي، وغير المحدود، والكامل، والكائن الإلهي؟؟ وعلى سبيل المثال، إذا أكد شخص ما أن يسوع كان محدودا في المعرفة أو القوة (كما توحي الأناجيل بذلك على وجه اليقين) فبالتالي لا يمكن أن يكون نفس هذا الشخص هو مثل الله كلّي العلم (العالم بكل شيء) وكلّي القدرة (القادر على كل شيء). ونفس الشيء إذا أكد لنا شخص ما بأن المسيح كان كلّي العلم، وكلّي القدرة، فبالتالي سيبدو أن الأمر مشكوكا فيه في أن المسيح كان حقاً إنساناً. ووفقا للبرفسور هيك، فإن محاولة اثبات أن طبيعة الله تشابه طبيعة المسيح، هي نفس محاولة اثبات حقيقة وجود دائرة مربعة. إنّها وصف لا معنى له (كما يقول). [33]

ومن الردود التي تبناها البرفسور هيك على مسألة تجسد المسيح القول بأن يسوع التاريخي هو ليس نفسه يسوع الإيمان، حيث نراه يقول في ذلك: "إن المسيح التاريخي الحقيقي هو ليس نفسه مسيح الإيمان والذي جُعل إلها متجسدا في مؤتمري نيقيّة وخلقيدونيّة، وبذلك فإن على المسيحيين بشكل عام أن لا يصروا على مسالة أن المسيح هو الطريق الوحيد للخلاص، وبالتالي فإن الديانة المسيحية هي ليست إلا ديانة واحدة من بين العديد من الأديان التي نادت بالخلاص ... وكان رجال الدين والقساوسة المثقفين مدركين علمياً وبشكل كبير ولا يحتمل الشك بأن يسوع نفسه كان قد علَّم أنه كان الله (أو الله الابن) المتجسد، إلا أن الحقيقة أن تأليه المسيح كان قد تطورا تدريجياً، ولم يكن يسوع التاريخي هو في حقيقته من كان ذلك بل يسوع الإيمان والذي الذي أعلن عنه رسميا كمنقذ وحيد للعالم وذلك في مجمعي نيقيّة، (Nicaea 523م) وخلقيدونيّة، (Chalcedon 154م)".[34]

---

32 Chris Sinkinson, *John Hick: An Introduction to his theology*, 1st, 1995, pp. 18.

33 Chris Sinkinson, *John Hick: An Introduction to his Theology*, pp. 18.

34 John Hick: *An Autobiography*, pp. 227-228.

وبذلك يخلص البرفسور هيك إلى: "أن على المسيحيين اليوم اعادة النظر بالكثير من العقائد المسيحية ومنها مسالة (تجسد المسيح)، حيث يقر بأن المسيح التاريخي لم يكن في الحقيقة يعلم وبأي من المعاني على أنه إله، وإن الفكر المسيحي غير قادر على اعطاء تفسير واضح على مسألة كون المسيح إنسانا محدود القدرة، على الرغم من قرون من محاولات التعليم المسيحي".[35]

وبالطبع فإن تصور هيك لشخصية السيد المسيح يخالف ما تذهب إليه الكنيسة المسيحية، لذا فإن ما قاله وما وصل إليه من تصورات حول شخصية المسيح الحقيقية والتجسد الإلهي هو محل رفض قاطع عند اللاهوتيين وآباء الكنيسة، وأن آرائه تلك جلبت له العديد من المخالفين والمنتقدين لأطروحاته في العديد من المقالات والكتب والمحاضرات انتصارا للعقيدة المسيحية التقليدية، ومن ذلك ما جاء على لسان الدكتور فيليب تاجهن (أستاذ كلية اللاهوت) والذي رد على فرضيات البرفسور هيك بالقول: "يهاجم هيك العقائد الأساسية للكنيسة، التي هي: الثالوث، والتجسد، وتكفير خطايا البشر، ويتهم الكنيسة والقديس أنسيلم بأنهم هم الذين وضعوا فكرة: "يسوع يجب أن يكون هو الله". علاوة على ذلك، اختارت الكنيسة مسألة يسوع هو: "ابن الله" وبذلك فإنها بدأت في إيجاد طرق توفيقية لإدخال طبيعتين في شخصية المسيح. هذا اتهام كاذب ومزور من قبل هيك، لأن الكنيسة لم تطلب أن يقال بأن يسوع يجب أن يكون هو الله، وذلك لأن يسوع المسيح كان هو الله حقاً ولكن في شكل إنساني. لذا فإن الكنيسة كانت تفهم مصطلح "عمانوئيل" كما تشهد عليه الأناجيل والكتابات الرسولية السابقة في ضوء أعمالها التفسيرية ".[36]

ثالثا: مصطلح ابن الله

يرى هيك أن المسيح تكلم عن الله كثيرا مستخدما في حديثه مصطلح (الآب)، في إشارة إلى أن المسيح ليس من جوهر الآب كما أنه ليس هو والآب شيئاً واحداً، ويسهب في شرح ذلك الأمر بالقول: "علينا أن ندرك إن في الزمن القديم كان مصطلح (ابناء الله) أو (ابن الله) هو مصطلح شائع كثيرا ويستخدم في كل عالم البحر الأبيض المتوسط وعلى نطاق واسع، ففرعون المصري في زمن المسيح والإمبراطورية الرومانية كما الفلاسفة العظام (أمثال فيثاغورس وأفلاطون) تحدثوا على أنهم إلهيون أو أبناء الإله، وحتى في اليهودية آدم ويعقوب والملائكة وملوك العبرانيون القدماء بل وحتى أي شخص يهودي تقي وورع كان غالبا ما يدعى ابن الله، وفي داخل نطاق اليهودية فإن لفظة ابن الله تعني (الخادم الحقيقي)، وليس: ابن الله حقيقة".[37]

ويعزي هيك استخدام مصطلح (ابن الله) على وجه الحقيقة إلى: انتقال التبشير بالإنجيل إلى خارج فلسطين والمنطقة اليهودية، وتحديداً إلى العالم الوثني حيث كان المصطلح يستخدم في الغالب على حقيقته وأقل بكثير من استخدامه المجازي، وحين كان على الإنجيل أن يعبر عن نفسه بمصطلحات فلسفية كنوع من المخاطبة والنداء للطبقات العليا في الامبراطورية الرومانية، أصبح يسوع ابن الله (المجازي) متحولا إلى يسوع ابن الله (الغيبي)، والشخص الثاني من الثالوث الإلهي، ممتلكا لطبيعتين إحداهما بشرية والأخرى إلهية.[38]

---

35 John Hick, *God Has Many Names*, Philadelphia, The Westminster Press, 1982, pp. 28.

36 Philip Tachin, "A Critique of John Hick's Christology and Reaffirmation of the Exclusiveness of Christ", *International Journal of Orthodox Theology*, 2011, pp. 118. / John Hick, *God and the Universe of Faith*, London, Oneword Publications, 2015.

37 John Hick, *Dialogue in The Philosophy of Religion*, Palgrave Macmillan, 1st, 2001, pp. 18.

38 John Hick, *Dialogue in The Philosophy of Religion*, pp. 18.

لذا ومن أجل الإجابة على سؤال: من كان يسوع؟ يحث هيك المسيحيين على التجرد البعيد في أي وقت مضى من التراكمات والتصورات السابقة وذلك من أجل رؤية -مرة أخرى- تلك الشخصية من خلف الأساطير. فوفقا لهيك، لم يكن يسوع الشخص الثاني من الثالوث، ولم يكن ابن الله المتجسد بالمعنى الحرفي، وإن الفرق بين يسوع وبين الناس الآخرين هو في درجة تجسيده للوعي الإلهي الذي من الممكن أن يوجد فينا جميعا.[39]

كما يثير البرفسور هيك العديد من التساؤلات حول اطلاق المسيحيون هذه الألقاب على المسيح من دون تحوط بالقول: " ولم يسألوا -المسيحيون الأوائل-ما هو نوع اللغة المستعملة عندما يقول أحدهم: (يسوع هو الله الابن المتجسد)، هل هذا التعبير حقيقي؟ هل هو بيان مختلط-افتراضا-عن حقائق تجريبية وميتافيزيقية؟ هل هو تعبير عن التزام أو محاكمة تقييمية؟ هل هو ذو معنى حرفي أو مجازي أو رمزي أو اسطوري أو شعري؟ ".[40] ويرى أن مثل هذه الأسئلة وغيرها لم تطرح في الأزمنة المتقدمة بل إنها وليدة مراحل متأخرة من دراسة ونقد اللغة الدينية التي كانت مستخدمة في تلك الحقبة.

ويرى البرفسور هيك: أن تلك الرموز والألقاب (يسوع ابن الله، الله الابن، الله المتجسد، الكلمة التي أصبحت لحما وعظما) قد خدمت اغراضها والتي استخدمت لأجلها سابقا ولألف عام، وان في إطار الكنيسة كانت هذه الرموز والمصطلحات تمثل للعديد من الناس تعبيراً مجدياً في الإخلاص ليسوع "السيد" ولم يكن من المهم كثيرا جداً أن يتحول مفهوم هذه الرموز في الذهن المسيحي من مجرد رموز إلى بيانات حرفية المعنى. ربما لم يكن هنالك بد من ذلك وكان الأمر جزءا من التفسير الحرفي للتوراة أيضا في نفس الفترة الزمنية، ولكن من وجهة نظر القرن العشرين: استعمال التوراة بهذا الشكل كان دائما خطأً، ورغما عن ذلك ربما لم يكن هناك ضررٌ كبيرٌ، بالمقارنة طالما أن ذلك لم يتعارض مع نمو المعرفة الإنسانية، ومع ذلك ابتداءً من القرن السابع عشر ووصولا لأقصى مدى في القرن التاسع عشر، برزت التناقضات ونمت وأجبر أصحاب التفسير الحرفي للكتب المقدسة على موقف خاطئ في استنكار ما اكتشفه علم الفلك وعلم البيولوجيا التطورية وغيرها.[41]

رابعا: تعظيم المسيح وعبادته

يقر الفيلسوف هيك بأن الملايين من المسيحيين كانت ولازالت تعبد المسيح إلا أن تلك العبادة كانت تتباين بحسب طبيعة البشر والغاية من عبادتهم للمسيح وأحيانا لوجهة النظر التي كانوا يرونها عليه، لذلك نراه يقول: " كان هناك "كائنات" متعددة يمكن وصفها بالتشابه الجزئي والاختلاف الجزئي، عبدها الناس على أساس أنها يسوع كداعية سلام، وكمتحمس، ومتعصب، وكشخصية رصينة الجلالة، الآخرون صوّروه كمثال للرقة والرحمة التي لا ينضب معينها، والبعض الآخر صوّروه كعالم نفس إلهي يُسبر ويشفي أغوار نفوس الأفراد. وآخرون صوّروه النبي الداعي إلى الاستقامة الاجتماعية الراغب في العدالة للفقراء والمضطهدين، والبعض الآخر رأى أنه فوق مستوى الكائن الطبيعي، الكُلّي المعرفة والكُلّي القدرة يحيطه النور المقدّس، والبعض اعتبره مُجرّد إنسان عاش في الإطار الثقافي لزمانه، ولقد صوّر "أيضا" كداعية سلام وكمتحمس ومتعصّب، وكشخصية رصينة الجلالة، و(كإنسان للغير) تعّب وقاسى الآم البشر وشارك في تحمل أوجاع وأحزان الإنسان الفاني "، ويرى هيك أن كل الصور التي حملت صفات وغايات المسيح تعود إلى تصورات الناس، وأمزجتهم، ومثاليتهم، وفهمهم للأناجيل وما

39 Chris Sinkinson, *John Hick: An Introduction to his Theology*, pp. 19.

40 أسطورة تجسد الإله، ص 272.

41 المصدر نفسه، ص 275.

جاء فيها، وأن خلف تلك التصورات البشرية لشخصية السيد المسيح يقبع المسيح الإنسان المجهول للبشر إلى حد كبير-على حسب تعبيره-. [42]

ويضرب الفيلسوف هيك هنا مثالا حول شخصية أخرى " إنسانية " وصلت إلى درجة القداسة ومن ثمَّ إلى التأليه من دون اختيارها وهي شخصية (بوذا)* الحكيم الهندي ومؤسس الديانة البوذية، حيث يقول عنه: "وقد يساعدنا الأمر إذا لاحظنا تمجيد مُعلِّم بشري بجعله شخصية إلهية لها قُدرة كونيّة، وفي كتب لديانة أخرى يمكننا أن نجري عليها مسحا من الخارج".[43]

وهو في هذا المثال يحاول الوصول إلى فكرة أن المصلحين لم يتحدثوا عن ألوهيتهم اطلاقا، بل إن اتباعهم هم الذين ألهوهم بعد ذلك، لذلك نراه يقول: "غوتاما بوذا أو (الشخص المتنور) لم يدّع الألوهية، كان كائنا بشريا وصل إلى النيرفانا –السُموّ الكامل على الأنانية، والوحدة التامّة مع الواقع الخالد عبر الأشخاص، ولكن في البوذية الماهايانية* التي بدأت تنمو في نفس الوقت الذي نمت فيه المسيحية تقريباً، كان الاحترام لبوذا أكثر بكثير من اعتباره شخصاً بشرياً بارزاً عاش ومات قبل قرون"، ومن خلال بداية نشأة فكرة طائفة الماهايانا يخلص هيك إلى تشابه تلك الأفكار في الديانتين البوذية والمسيحية حول شخصية ألوهية بوذا والمسيح حيث أن (غوتاما) الإنسان أصبح التفكير فيه على أساس أنه التجسيد (لبوذا) الإلهي المتسامي الذي وجد منذ الأزل، وكذلك يسوع الإنسان صار التفكير فيه على أنه التجسيد (للكلمة-اللوجوس-الأزلية الوجود)، أو الابن الإلهي، كما أن في البوذية الماهايانية يعد بوذا هو المتسامي وهو الواحد المُطلق، كما هو الأمر ذاته في المسيحية، فالابن الخالد هو واحد في الله الآب، لذلك كان (غوتاما) الدَارْما؛ أي الحقيقة التي أصبحت جسداً، ويسوع كان (الكلمة) التي أصبحت جسداً. [44]

وكما يثبت الفيلسوف هيك وجود العديد من الأفكار والتصورات المتشابهة بين أتباع كل من بوذا والمسيح، فإن ما يميز المسيح عن بوذا عنده - حسب تلك التصورات - هو وجود اختلاف كلّي الأهمية بينهما وأن هذا الاختلاف هو الذي يبرر إضفاء الصفات الإلهية على (المسيح) وليس على الآخر(بوذا)، يتمثل ذلك الاختلاف في أن يسوع قام بعد موته، لذلك فإن ذلك الأمر- بحسب اتباعه - يميزه عن غيره من البشر وبالتالي يمنحه صفة (الإله المتجسد).[45]

---

42 المصدر نفسه، ص 259 -260.

* بوذا(563-483 ق.م): سدهارتا غوتاما، الملقب بـ (بوذا)، حكيم وفيلسوف هندي الأصل مؤسس الديانة البوذية، كان أميراً في مملكة والده كابيلافاستو في إحدى مقاطعات الهند، ترك بعدها حياة الترف والنعيم ليعيش زاهدا ومتنسكا باحثا عن الاستنارة، وصل إلى النيرفانا البوذية التي تعني الصفاء الروحي والقضاء على الرغبات المادية وبالتالي التخلص من سطوة الكارما وتكرار المولد. ينظر: Andre Ferdinand Herold, *The Life of Buddha: According to the Legends Of Ancient India*, translated from the French by: Paul C. Blum, 1922.

43 جون هيك وآخرون، أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، ص 261.

الماهايانا(Mahayana): معنى المصطلح الحرفي(المركبة العظيمة)، طائفة بوذية تعتقد بألوهية بوذا وبأن المرء لا يصل إلى النيرفانا إلا بعد المرور بتجارب كثيرة يتكرر فيها مولده وينتقل عبر العديد من الأجساد وفق مفهوم التناسخ، وتسود هذه الطائفة في شمال الهند والتبت، ومنغوليا، والصين، واليابان، وكوريا، وفيتنام، والنيبال، وإندونيسيا. ينظر: Edward Irons, *Encyclopaedia Of Buddhism*, New York, Facts On File Inc., 2008, pp. 324.

44 جون هيك وآخرون، أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، ص 262.

45 المصدر نفسه، ص 263 .

المطلب الرابع: أسباب ونتائج تأليه المسيح

يرى هيك أن تصور مجمع نيقيّة لطبيعة السيد المسيح الإلهية وما ذهب اليه المؤتمرين فيه من تبني لتلك العقيدة التي فرضت بالقوة على يد الإمبراطور قسطنطين هي أبعد ما يكون عمّا يفترض أن المسيح التاريخي قد فكر فيه أو دعا إليه، وأن مسالة طبيعة السيد المسيح الإلهية قد دخلت إلى الفكر المسيحي نتيجة لعوامل عديدة أهمها:

١- الطابع الروحي لشخصية السيد المسيح

حيث يرى البروفسور هيك: أن للسيد المسيح قوة وسلطة روحية عالية تتمثل بحضور الله داخله (العامل الروحي) الذي لا يمكن رؤيته في العين المجردة، ولكن يمكن الشعور به داخله، ذلك الحضور الذي كان المسيح يستمده من إيمانه بوجود الله، والذي انعكس على حياة المسيح التي كانت ترتبط بكل تفاصيلها بهذا الوجود والعيش لأجله، لذلك انعكست تلك القوة الروحية والحضور الإلهي داخله إلى العديد من الأعمال والمعجزات التي ظهرت على يدّيه، من شفاء المرضى، ومعالجة النفوس المريضة، وغيرها كثير. كما أدت الى تغير نظر الناس إليه من تلاميذه المقربين وغيرهم.[46]

٢- لقب المسيح (Messiah)

يرى الفيلسوف هيك: أن لقب المسيح (الغامض) – كما يصفه - والذي لقبه به تلاميذه واليهود على التوازي أدى في نهاية الأمر إلى تأليه المسيح، وأن مسألة الطبيعة الإلهية لذلك المسيا تستند إلى تقليد قديم بدأ عند الديانة اليهودية أولاً، ففكرة (المسيا - المسيح - Messiah) الذي سيكون ملكا على هذه الأرض سيكون من نسل داود، وأن كل الملوك القدماء هم من نسل داود، وكان تبنيّهم على أساس (ابن الله) وذلك عند رسمهم لاستلام السلطة، وأن كلمات المزمور: " قَالَ لِي: أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ "،[47] ربما كنت تستعمل أصلا في حفلات التتويج، كما يرد نص هام أخر وهو: " أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا "،[48] قيل أيضا في الأصل لملوك الأرض. وفي انجيل لوقا: " فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: ... هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ "،[49] ويذهب البرفسور هيك إلى أن مصطلح (البنوة الإلهية) كان يستعمل في الماضي في زمن السيد المسيح استعارياً وشرفياً، وأن اليهود –بشكل عام-قبل زمن السيد المسيح وبعده كانوا ينظرون إلى الملك على أنه كابن ليهوه بالتبني وليس حقيقة.[50]

٣- تأثير العالم الوثني القديم على المسيحية

يشير هيك الى أن فكرة التجسد – الحلول الإلهي - في الحياة البشرية كانت منتشرة بكثرة في العالم القديم ولا زالت، لذلك يرى: أن ليس من المستغرب أبداً انتشار مسألة تأليه المسيح في تلك البيئة الثقافية.[51]

---

46 المصدر نفسه، ص 265.

47 .المزامير 2: 7

48 .صموئيل الثاني 7: 14

49 .انجيل لوقا 1: 33-30

50 ينظر: جون هيك وآخرون، أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، ص 269؛ John Hick, *Dialogue In The Philosophy Of Religion*, pp. 18.

51 يحيل البرفسور هيك القارئ إلى مصدرين مهمين لمعرفة المزيد حول التأثير الكبير لتلك الأفكار الوثنية على الديانة المسيحية في ذلك الوقت وهما (مايكل غولدر) و(فرنسيس يونغ) في الفصلين الرابع والخامس من نفس الكتاب. ينظر: أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، ص 113 - ص147.

ويرى هيك أن مسالة تأليه المسيح قد انتقلت اطوارا عدة حتى وصلت إلى فكرة تأليهه الرئيسية، حيث ابتدأت المسالة مع تلاميذ المسيح وغيرهم ممن عاش في تلك الحقبة تحت ما يسمى بـ (الأخوّة المسيحية) والتي كان يمثلها الحواريون الأثنى عشر والتلاميذ السبعين وغيرهم من اليهود، بل وحتى لعالم الأمميين في الإمبراطورية الرومانية، حيث كانت النظرة السائدة للسيد المسيح على أنه (السيد) فقط، ولكن الحال هذه لم تدم طويلاً حيث كان لابد أن يكون للسيد المسيح أرفع الألقاب وأعلاها وخصوصا بعد التغيير الحاصل في نفوس المؤمنين وازدياد الضغط الديني عليهم من قبل اليهود والرومان ودخول الكثير من المسيحيين المؤمنين بالمسيح دائرة الاضطهاد، والتعذيب، والقتل من قبل مخالفيهم، لذا برزت ألقاب أخرى رافقت السيد المسيح ووصفه منها: (ابن الإنسان) والذي سيجيئ على غيوم سماوية، ولكن بقي هذا اللقب محدوداً ولم يستعمل بكثره في وقته، ومنها أيضا: (آدم الثاني)، والذي اطلقه عليه بولس الرسول، وبقي هذا اللقب أيضا –مع شهرته- محدود الاستعمال ولم يكن هو اللقب الأوسع والأشمل للسيد المسيح، ثم أتى بعد ذلك القديس يوحنّا واطلق على المسيح لقب (اللوجوس - الكلمة - Logos) والذي كان ومازال أحد أهم الألقاب اللاهوتية التي اطلقت على المسيح. لذا يرى الفيلسوف هيك: أن المسيحيين في الماضي قبلوا اللغة المتداولة عن يسوع كجزء من مظهر إخلاصهم، دون أن يثيروا أياً من التساؤلات عمّا إذا كانت تلك اللغة منطقية أم لا[52].

ويخلص البرفسور هيك إلى القول: " ومما لا شك فيه (كما أظن) أن تأليه يسوع جاء جزئيا، بل وربما في الغالب كنتيجة للتجربة المسيحية في التصالح مع الله، فالحياة الجديدة التي جاء بها يسوع لحوارييه والتي استجلبوا إليها هم بدورهم أخرين كان يتخللها معنى مجيد من التسامح الإلهي والحب الإلهي، وعاش المسيحيون الأوائل وفرحوا لمّا عرفوا رحمة الله، وكان الأمر بديهيا بالنسبة لهم كيهود تأثروا بتقاليد قديمة عن تضحيات الكهنة، وأنه لن يكون هناك غفران للخطايا بدون إراقة الدم، إذن كان هناك انتقال طبيعي في أذانهم من تجربة التصالح مع الله كحواريين ليسوع إلى فكرة موته كتضحية وكفّارة، ومن هذه إلى الاستنتاج أنه حتّى يكون موت يسوع كفّارة كافية عن خطايا الإنسان كان يجب عليه أن يكون إلهيا ".[53]

ومن الجدير بالذكر أن البرفسور هيك لم يلامس وجه الحقيقة في مسألة تحول نظرة الحواريين حول المسيح بعد موته المسيح الكفاري على الصليب، ما استلزم استنتاجهم بأنه كان عنصراً إلهيا !! ومن المؤكد أن سبب ذلك يعود إلى تأثره بالتقليد المسيحي الذي جاء في نصوصهم المقدسة، مع أنه يقر في أماكن متعددة بتناقضها واختلافها، مع تغلغل المنطلقات الإيمانية الرئيسية في العقيدة المسيحية داخله والمتمثلة بالتراث الكنسي الكبير الذي يمتلكه، وذلك نتيجة عمله قسيساً في الوسط الكنسي لسنوات عديدة، فكل المعطيات القرآنية[54] وحتى الإنجيلية منها تثبت أن الحواريين كانوا ينظرون إلى السيد المسيح على أنه نبي مرسل من الله وبالتالي هو كائن وعنصر بشري ولم يكن يرد في خلدهم أكثر من ذلك،[55]

كما أن هنالك شواهد أخرى من سفر أعمال الرسل تثبت أن الحواريين رفضوا أفكار بولس حول المسيح، والتي منها موته الكفاري وخطيئة آدم وحواء وغيرها، ما حدا بهم إلى أن يعقدوا مجمع أورشليم سنة (51م) في تلك الفترة، وإلى أن يطردوا بولس (الرسول) من القدس بعد أن حاولوا قتله وذلك لمخالفة أفكاره وآراؤه

52 ينظر: أسطورة تجسد الإله، ص 272.

53 المصدر نفسه، ص 270.

54 أورد القرآن الكريم العديد من الآيات التي امتدح فيها إيمان الحواريين ومنها: ((فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ))، سورة آل عمران الآية: 52.

55 ينظر على سبيل المثال لا الحصر: سفر أعمال الرسل 3: 22-23 ؛ سفر أعمال الرسل 7: 37.

عن السيد المسيح عن ما كانوا يعتقدونه وما كانوا يؤمنون به،[56] وهم الذين صاحبوا المسيح ليلا ونهارا، واتبعوا تعاليمه وخطاه، وسمعوا منه شفاها، وشاهدوا معجزاته عيانا. وإن مسالة بداية تغيير نظرة المسيحية حول شخص السيد المسيح لم تأت من الحواريين تحديدا، بل ولا حتى من المسيحيين اليهود الذين كانوا متمسكين بشريعة ناموس موسى (υ) باعتبارهم يهوداً، بل جاءت من المسيحيين الأمميين (الذين دخلوا إلى المسيحية من غير اليهود) والذين تأثروا بالأفكار الوثنية والفلسفية من مجتمعات الأمم الأخرى التي كانوا يعيشون بين ظهرانيها.

الخاتمة

بعد منّ الله وكرمه بأن مكننا من انجاز هذا البحث عن هذا الفيلسوف الكبير، نورد أهم النتائج التي توصلنا إليها فيه، وهي كما يلي:

١- يرى هيك بأن الأناجيل الأربعة جميعها لم تكن شهادات حسية وعيانيه حول سيرة المسيح، وبالتالي لا يمكن الوثوق بتلك المصادر وجعلها المرجع الرئيسي في فهم طبيعة السيد المسيح وحقيقة دعوته.

٢- يؤكد هيك على أن المسيح أعلن عن نفسه بأنه إنسان فقط (كما أوردت الأناجيل) ولم يقل عن نفسه يوما بأنه إله، وأن مراحل تأليهه تلك دخلت إلى المسيحية لاحقا.

٣- يميز هيك مع غيره من اللاهوتيين المعاصرين بين المسيح التاريخي (البشري) الذي هو يسوع الناصري، وبين المسيح الكوني(الإله) الذي هو أساس المعتقد والإيمان المسيحي، والذي اخذ قانونيته من مجمع نيقية (325م)، أي بعد ثلاثة قرون من رفع المسيح.

٤- يرى هيك أن مصطلح (ابن الله) الذي اطلق على المسيح هو مصطلح شائع كثيرا وكان يستخدم في كل عالم البحر الأبيض المتوسط وعلى نطاق واسع في زمن السيد المسيح، وكان يطلق على المسيح في بداية الأمر مجازا، ثم اطلق عليه على وجه الحقيقة لاحقا.

٥-يرى هيك أن سبب تعظيم المسيح في الفترات السابقة وجعله هو الإله المتجسد، كان بسبب الاستجابة للنقص في الأشياء المعنوية والحاجات الروحية التي كانت مفقودة في تلك الآونة، وأن المجتمعين في مجمع نيقيّة قد مالوا إلى اختيار هذه الألفاظ والصفات على المسيح نتيجة لتلك النظرة التي كانوا يروا بها السيد المسيح (الإله الابن المتجسد) في وقتها وسيادته الروحية والزمانية والمكانية التامة.

٦- يعترف هيك بصعوبة قبول فرضية قيام المسيح من الموت لأن تلك الحادثة وقعت قبل عشرين قرنا من الزمان، وخصوصا أن الأناجيل التي كتبت ودونت في تلك الحقبة لا تكاد تتفق فيما بينها على تلك الواقعة بل إنها تتناقض في تفصيلاتها كما يجد الباحث فيها العديد من الصعوبات في تفسير وتعليل أحداثها.

٧- يقبل هيك رواية قيام المسيح من الموت عموما، ويعتقد بها أحيانا، إلا أنه يشكك في أن تلك الفرضية تمثل سببا وضمانا للقول بألوهيته. ويعزو ذلك إلى أن مسألة عودة الميت إلى الحياة-في تلك الحقبة- لم تكن تمثل هزّة عنيفة، أو أمراً خارقاً للعادة، لأنها كانت من المسلمات في تلك الفترة.

٨- يرى هيك أن عقيدة التجسد ليست من أقوال وتعاليم المسيح بل هي من وضع الكنيسة، وذلك لأنها لم ترد بصراحة في الأناجيل المسيحية التي يفترض أن تعبر عن واقع المسيح وطبيعته، كما يفترض أن تعبر عن نشأته وحياته وأعماله.

56 سفر أعمال الرسل: 21.

٩- يرفض هيك عقيدة التجسد ويتسائل: كيف يمكن لشخص تاريخي يستطيع أن يملك في نفس الوقت كلتا المسألتين، سمات الإله الأساسية استنادا إلى كونه إلها، وفي الوقت ذاته يمتلك كل سمات الإنسان الأساسية استنادا إلى كونه إنسانا.

١٠- يرى هيك بأن المسيح التاريخي لم يكن في الحقيقة يُعلم وبأي من المعاني على أنه إله، وإن الفكر المسيحي غير قادر على اعطاء تفسير واضح على مسالة كون المسيح إنسانا محدود القدرة، على الرغم من قرون من محاولات التعليم المسيحي.

١١- يرى هيك أن القول بألوهية المسيح كان من اسبابه قوة وسلطة المسيح الروحية المتمثلة بحضور الله داخله (العامل الروحي) الذي لا يمكن رؤيته بالعين المجردة، لذلك انعكست تلك القوة الروحية والحضور الإلهي داخله إلى العديد من الأعمال والمعجزات التي ظهرت على يدّيه، من شفاء المرضى، ومعالجة النفوس المريضة، وغيرها كثير. الأمر الذي أدى إلى تغير نظرة الناس إليه.

١٢- يرى الفيلسوف هيك أن لقب المسيح (المسيا - Messiah) والذي لقبه به تلاميذه واليهود على السواء أدى في نهاية الأمر إلى تأليه المسيح، وأن مسألة الطبيعة الإلهية لهذا المسيا تستند إلى تقليد قديم بدأ عند الديانة اليهودية أولاً.

١٣- يشير هيك الى أن تأثير العالم الوثني القديم على المسيحية أدى إلى نشر فكرة التجسد-الحلول-الإلهي في الحياة البشرية، وأن تلك الفكرة كانت منتشرة بكثرة في العالم القديم ولا زالت، لذلك ليس من المستغرب أبداً انتشار مسألة تأليه المسيح في تلك البيئة الثقافية.

المصادر والمراجع

المصادر العربية

القرآن الكريم

الكتاب المقدس

البابا شنودة الثالث، طبيعة المسيح، القاهرة، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، (ط16)، 2014م.

بسيوني، محروس محمد محروس، "التعددية الدينية رؤية نقدية"، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، السنة السادسة، (العدد 12)، 1438هـ.

حب الله، حيدر، التعددية الدينية نظرة في المذهب البلورالي، بيروت، الغدير للدراسات والنشر، (ط1)، 1421هـ -2001م.

رستم، أسد، كنيسة الله العظمى انطاكيا، (ج1)، لبنان، منشورات المكتبة البولسية، 1988م.

صموئيل، الأب ف. سي، مجمع خلقيدونية –إعادة فحص: بحث تاريخي ولاهوتي، ترجمة: د. عماد موريس إسكندر، القاهر، دار باناريون للنشر والتوزيع، (ط1)، 2009م.

طه، أنس مالك، التعددية الدينية رؤية إسلامية، كوالالمبور، منشورات الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، (ط1)، 2005م.

قانصو، وجيه، التعددية الدينية في فلسفة جون هيك المرتكزات المعرفية واللاهوتية، الدار العربية للعلوم - ناشرون، (ط1)، 1428هـ-2007م.

المنشاوي، ناصر، الجوانب الخفية من حياة المسيح، بدون دار طبع، 2003م.

هيك، جون، أسورة تجسد الإله، تعريب الدكتور نبيل صبحي، الكويت، دار القلم، (ط1)، 1405هـ -1985م.

***

El-Kur'ânü'l-Kerim

The Bible

Baba III. Şenuda, *Tabîatü'l-Mesih*, Mısır, el-Külliyyetü'l-İklirikiyye li'l-Akbati'l-Ortadoks, 16th, 2014.

Besyûnî, Maḥrûs Muḥammed Maḥrûs, **"**Et-Teaddüdiyyetü'd-Diniyye : Ru'ye Nakdiyye"**,** *Mecelletü Camiati Taibah li'l-Âdâb ve'l-ulûmi'l-İnsaniyye,* es-sene 6, el-aded 12, 1438 H.

Hubbullah, Haydar, *Et-Teaddüdiyyetü'd-Diniyye : Nazra fi'l-Mezhebi'l-Bilurâlî*, Beyrut, Al-Gadîr li'd-Dirasat ve'n-Neşr, 1st, 1421H, 2001.

Rüstem, Esed, *Kenisetullah el-Uzma Antakya,* C. 1, Lübnan, Menşuratü'l-Mektebeti'l-Mektebeti'l-Bülesye, 1988.

Samuel, el-Eb V. C., *Mecmeu Chalcedoniyye – İadetü Fahs : Bahs Tarihi ve Lahoti*, terceme İmad Muris İskender, Kahire, Darü Panarion li'n-Neşr ve't-Tevzi', 1st, 2009.

Taha, Enes Malik, *Et-Teaddüdiyyetü'd-Diniyye : Ru'ye İslamiyye*, Kuala Lumpur, Menşuratğ'l-Camiati'l-İslamiyye el-Alemiyye bi-Malezya, 1st, 2005.

Kansu, Vecih, *Et-Teaddüdiyyetü'd-Diniyye fi Felsefeti John Hick : el-Mürtekezatü'l-Ma'rifiyye el-Lahotiyye,* ed-Darü'l-Arabiyye li'l-Ulum-Naşirun, 1st, 1428H, 2007.

El-Minşavi, Nasir, El-Cevanibü'l-Hafiyye min Hayati'l-Mesih, biduni dari tab'a, 2003.

Hick, John, *Usturatü Tecessüdü'l-İlah*, ta'rib Nabil Subhi, Kuveyt, Darü›l-Kalem, 1st, 1405 H-1985.

المصادر الأخرى

Flinn, Frank K, *Encyclopaedia of World Religion, Encyclopaedia of Catholicism,* U.S.A, Facts on File, 2007.

Guiley, Rosemary Ellen, *The Encyclopaedia of Saints*, New York, Visionary Living Inc., 2001.

Herold, Andre Ferdinand, *The Life of Buddha : According to the Legends of Ancient India*, translated from the French by: Paul C. Blum, 1922.

Hick, John, *A Christian Theology of Religions*, The Rainbow of Faith, Westminster John Knox Press, 1st, 1995.

_____, *An Autobiography*, Oxford, One world, 2002.

_____, *Dialogue in the Philosophy of Religion*, Palgrave Macmillan, 1st, 2001.

_____, *Disputed Questions in The Theology and The Philosophy of Religion*, Britain, The Macmillan Press LTD, 1st, 1993.

_____, *God and The Universe of Faith*, London, Oneword Publications, 2015.

_____, *God Has Many Names*, Philadelphia, The Westminster Press, 1982.

_____, *Problems of Religion Pluralism*, United Kingdom, Macmillan Press Ltd, 1st, 1985.

_____, *The Centre of Christianity*, New York, Harper and Row Publications, 1970.

_____, *The Metaphor of God Incarnate: Christology in a Pluralistic Age*, 2nd, United States, Westminster John Knox Press, 2006.

Hick John and Paul F Knitter, *The Myth of Christian Uniqueness: Toward a Pluralistic Theology of Religion*, Wipf and Stock Publishers, 1987.

Irons, Edward, *Encyclopaedia of Buddhism*, New York Facts on File Inc., 2008.

Sinkinson, Chris, *John Hick: An Introduction to his Theology*, 1st, 1995.

Tachin, Philip, "A Critique of John Hick's Christology and Reaffirmation of the Exclusiveness of Christ", *International Journal of Orthodox Theology*, 2011.

www.johnhick.org.uk/articles, "The Resurrection of Jesus".